اللّسانيّات في قلب المسيرات:
الشّعارات خطابا سياسيّا

بقلم:
الأزهر الزّنّاد
جامعة منّوبة

الملخّص

مدار هذه الدراسة على المظاهر التواصلية الخطابية في المظاهرات والمسيرات السياسية في البلاد التونسية إبّان الثورة. نتناول فيها بالفحص مسائل عديدة منها تأطير السلوك اللغوي وتعدد أنماط التواصل ومضامين الشعارات اللفظية المنطوقة المسموعة والشعارات المرسومة المرئية بمختلف أنماطها في ضوء اللسانيات العرفنية وعلوم الخطاب.[1]

Abstract

This paper investigates the claim that demonstrations are a ritual activity in modern societies in general and in Tunisian post-revolutionary society, in particular. This claim is based on the framing nature of action(s) and discourse(s) in demonstrations. The slogans (oral and/or written) are the result of many cognitive faculties such as blending, metaphoric conceptualization, and embodiment. The analysis is based on data from the uprising in Tunisia that occurred during December 2010 and January 2011 and continued after on many occasions, in a variety of forms and places. The study progresses by presenting an overview of demonstrations as an organizational frame and investigating the different facets of the discursive components: demonstrations as rituals; blending, metaphor, and embodiment as cognitive tools in slogans elaboration, and finally by investigating the different facets of slogans as collective speech acts where the focus is on the popular "**Dégage**" formula.

[1] مشاركة في ندوة "لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب"، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، أكادير، **المغرب**، 19-24 نوفمبر 2012 . والنص منشنور . في الموقع التالي:

https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2348854

المقدّمة

مثّلت المسيرات مكوّنا مركزيّا في الانتفاضات/الثورات العربيّة وباتت عنصرا من عناصر الحياة اليوميّة يعيشها النّاس بالمشاركة أو بالعيان أو بالمشاهدة في وسائل الإعلام بأنواعها. وإذ كانت الشّعارات مكوّنا مركزيّا في المسيرات مثّل ذلك مدخل العناية بها من زاوية تحليل الخطاب. فالمسيرات بهذا المفهوم إطار لنوع مخصوص من الخطاب هو الشّعارات. وإذ يندرج الشّعار "خطابا" في المسيرات "إطارا" جعلنا هذه المداخلة قسمين: قسما أوّل تدرس فيه بعض خصائص الإطار وقسما ثانيا تدرس فيه بعض خصائص الخطاب.

1 المسيرات إطارا

يمثّل الإطار في الدّراسات العرفنيّة -وعند فيلّمور[2] أساسا- مفهوما ذهنيّا عرفنيّا، هو جملة المعارف (المفاهيم، التّمثيلات، الصّور) المترابطة المنضّدة المحفوظة في النّظام العرفنيّ. وهو مفهوم نحويّ في اتّصاله بدلالة الوحدات اللّغويّة من حيث انتظامها في أطر تترابط فيها معان عديدة ترابطا يجعل منها كلاّ منضّدا. هو مفهوم واحد ذو مظهر عرفنيّ تصوّريّ صرف وذو مظهر لغويّ دلاليّ في آن. وتتمثّل الفكرة الأساسيّة الّتي تقوم عليها نظريّة الأطر في كون الوحدات المعجميّة والأبنية النّحويّة لا تشتغل ولا تعمل إلاّ مرتبطة بأطر. ذلك أنّ المعنى المقترن بلفظ أو بعبارة لا يمكن أن يُتصوّر أو يُفهم إلاّ في إطار من المفاهيم المترابطة. فالإطار بنية مفهوميّة معقّدة تجري لتمثيل

[2] Charles Fillmore, 1975, 1977, 1982, 1985; Fillmore and Atkins, 1992

المقولات بجميع أنواعها (بارصالو[3] 1992). وكلّ معنى مقترن بوحدة معجميّة جارية في الاستعمال إنّما يستمدّ قيمته من سائر المعاني المترابطة المكوّنة للإطار. وإذا ما أجريت تلك الكلمة في سياق بعينه، دلّت دون شكّ على مفهوم واحد من مفاهيمها المعلومة، ولكنّ سائر المفاهيم المنتمية إلى ذلك الإطار تكون حاضرة وإن من مستوى ثان خافت. فيكون على هذا للإطار وظيفتان: تنضيديّة وإجرائيّة استعماليّة، تتنضّد بالأولى منهما معارفنا ومظاهر تجربتنا تنضيدا جشطلتيّا، وبالثّانية يكون تصوير المفاهيم في العبارة اللّغويّة إنتاجا وتأويلا.

ويجري مفهوم الإطار العرفنيّ في تحليل الخطاب شاملا لتجارب المشاركين في عمليّة ما بما في ذلك من مضامين اجتماعيّة ثقافيّة تساهم في بناء المقام. فعمل التّخاطب حدث يستوجب التّأطير، وهو ما يطلَق عليه إطار حدث القول[4] (أو الحدث القوليّ). يضمّ هذا الإطار كلّ المعارف المتعلّقة بملابسات القول من حيث التّفاعل ما بين المتخاطبين في العموم، ومن حيث الأرضيّة الثّقافيّة الاجتماعيّة، ومن حيث الأطر المخصوصة بأجناس الخطاب من قبيل ما يكون من تنوّع في المقام على أساس أنواع الخطاب، كلاّ بخصوصيّاته. ولكلّ نوع من هذه الأطر مؤشّرات لغويّة يتضمّنها الخطاب في مفتتحه أو في ثناياه هي عبارات ينشأ لها عند السّامع، بحكم ما تعوّد، تطلّعا إلى نوع مخصوص من الإطار تجري فيه الأحداث. والأطر في جميع ذلك نوعان: فاعلة خلفيّة وأخرى فاعلة ظاهرة، فالفاعلة الظّاهرة منها أطر ناشطة آن

[3] Barsalou, 1992
[4] speech event frame

القول، تكون محطّ الوعي والانتباه يتغيّر ويتجدّد بتقدّم البناء في الخطاب، وأمّا الفاعلة الخلفيّة فهي ما تندرج فيه الأطر الفاعلة آن القول دون أن تحضر حضورا ظاهرا، إذ تتضمّن كلّ ما له صلة بالأرضيّة المعرفيّة العامّة المشتركة بين المتخاطبين، فهي الأساس الّذي يتجذّر فيه الإطار النّاشط لينبني انبناء مستقيما ينشأ له التّمثيل الذّهنيّ المناسب. فيكون الخطاب منتظما في مقام ينتظم بدوره وفق أطر اجتماعيّة[5].

ويُعتَمَد "الإطار" في تحليل الخطاب مفهوما عاملا جامعا لجميع العناصر والعوامل الّتي ينبني بها الخطاب وعلى أساسها يكون تأويله أو فهمه في "التّحليل المقاميّ[6] (فان ديك[7] 2004). وفي ضوء ذلك يمكن أن نتصوّر المسيرة إطارا، كما نعرض في التّمثيل (1)، حيث ينقسم الإطار إلى ثالوث من الأسس هي البنية[8] والمواضعات[9] وسير الأحداث في المقام، وقوام البنية فيه الموضع[10] (إطار المشهد وهو أساسا المكان في هيأة مخصوصة) والوظائف[11] (وظيفة كلّ واحد من المشاركين في المشهد) والخصائص[12] (خصائص كلّ فرد مشارك وفق وظيفته ومنزلته فيه) والعلاقات[13] والمراتب[14] (موقع الفرد من هرم السّلّميّة أو التّراتبيّة القائمة في المشهد)، وجميعها متعلّق بالمشاركين في المشهد الجاري في

---

[5] social frame(s)
[6] contextual analysis
[7] Van Dijk, Teun A. 2004
[8] frame structure
[9] frame convention(s)
[10] setting
[11] function(s)
[12] properties
[13] relation(s)
[14] position(s)

ذلك الإطار أو بالإطار نفسه. وقوام المواضعات جملة المبادئ الّتي تحكم سلوك المشاركين في الوضع أو في المشهد (القواعد، الآداب، القوانين، الواجبات، القيم) ما كان منها مباشرا فوريّا أو خلفيّا كامنا في الأذهان. وأمّا سير الأحداث فيتمثّل في الحدث الجامع[15] لسيناريو المشهد كاملا في تدرّجه وتصوّره منذ مبتدئه حتّى منتهاه، وإن كان التّركيز في المشهد على مقطع منه:

[15] macro-action(s)

(1) المسيرة إطارا

بنية الإطار	الموضع	شارع مخصوص، أو ساحة ومسلك ذو بداية ونهاية
	الوظائف	- شخص (س)/أشخاص: منظّم، قائد، صائغ شعارات، يحدّد المسلك والتّدرّج في المسيرة... - شخص (ص)/أشخاص: حامل لافتة، مردّد، .... - شخص (ع)/أشخاص: عمل الصحافة، عمل حفظ الأمن...
	الخصائص	- شخص (س): يحمل شارة منظّم، يحمل المصدح، لباس - شخص (ص): لباس (حسب الانتماء، إلخ) - شخص (ع)/أشخاص: شارة الصّحافيّ، زيّ الأمن...
	العلاقات	شخص(س) ذو سلطة "معنويّة" على شخص (ص). - شخص (ع): صحافيّ ناقل أحداث محايد، رجل أمن رادع...
	المراتب	- شخص(س) فوق (ص). - شخص (ع): مراقَب.
مواضعات الإطار	القياديون في المقدّمة، والمشاركون إثرهم، الالتزام بالشّعارات وبالمسلك، رجال الأمن في مواقعهم، الصحافة، الملاحظون، إلخ.	
سير الأحداث في المقام	الحدث الجامع: التّجمّع، الانطلاق والسّير والهتاف، التّفرّق، إلخ.	
	الأعمال السّابقة: إعداد المسيرة، التّنقّل، الحضور، إلخ.	

1-1 المسيرات إطارا فضائيّا

يمكن قسمة إطار المسيرات إلى مكوّنين إطاريّين متحرّك وثابت: الإطار المتحرّك هو توزّع المشاركين في المسيرة في جميع الأبعاد المكانيّة من حيث شكل التّجمّع سواء كان دائريّا في التّجمّعات والوقفات الاحتجاجيّة في السّاحات أمام المباني المعنيّة من قبيل المجلس التّأسيسيّ أو المراكز الإداريّة؛ أو كان طوليّا في المسيرة ذات المسلك المحدّد، تجوب الشّوارع في حركة ذات اتّجاه واحد؛ أو كان انتشاريّا في حال التّفرّق عند الاشتباك أو المطاردة والفرار بفعل الأجهزة الأمنيّة في تفريق المسيرات. والإطار الثّابت أو السّاكن هو الجدران والأشجار والأبواب وأعمدة الإنارة أو حوامل الإشهار، بما تحمله من منقوشات جداريّة هي شعارات مكتوبة أو ملصقات بأنواعها أو لافتات وأعلام ورايات معلّقة بشكل من الأشكال. وكلا الإطارين يكمّل قرينه نوعا من التّكميل يردّد المكتوب الثّابت ما تهتف به الحناجر المتحرّكة ترديدا رمزيّا بالمضامين المشتركة أو يحمل مضامين لا تتوفّر في الآخر.

2-1 المسيرات إطارا خطابيّا

تمثّل الشّعارات في المسيرات خطابا متدرّجا من حيث إنجازه، فهو فرديّ وجماعيّ وعالميّ: هو فرديّ مأخوذا من زاوية شخص مفرد في المسيرة، يهتف بما يهتف به الآخرون وقد يكون من قائد أو مبادر بشعار ما في لحظة ما من سيرورة المسيرة وسائر المشاركين يردّدونه؛ وهو في الآن نفسه جماعيّ بفعل ذلك التّرديد، وهو ترديد يجعل من الخطاب تناوبيّا أي قائما على التّناوب بين الفرديّ والجماعيّ. وقد

يحدث نشاز بأن يرتفع شعاران مختلفان في آن الانطلاق من فردين أو مجموعتين صغريين سرعان ما يحدث التّعديل الذّاتيّ فيتقلّص أحدهما ليغلب الآخر أو العكس. وهو كذلك عالميّ من زاوية حضور المشاهدين المفترَضين من خلال وسائل الإعلام (التّلفزيون، الإنترنت، إلخ)، فتكون الشّعارات المردّدة مستعارة أو ممّا يُتداول في مواطن أخرى من العالم وإن بلغات أخرى ولذلك نفسّر حضور الشّعارات المصوغة باللّغات الأجنبيّة مستعارة بنصّها من ثقافات أخرى أو مقيسة عليها وإن بلغة غير لغتها الأصليّة. فتستوي بذلك المسيرات إطارا خطابيّا متعدّد اللّغات (الصّورة (أ) في (2)) متعدّد الشّفرات (الصّورة (ب) في (2)):

(2)

(أ)

(ب)

3-1 المسيرات إطارا تواصليّا متدرّجا

قياسا على تدرّج الخطاب الوارد قبيل هذا، تكون المسيرة إطارا تواصليّا متدرّجا. والتّدرّج فيها كائن على المحورين العموديّ والأفقيّ:

يتدرّج الإطار التّواصليّ عموديّا على مستوى بنية الجسد الفرد على مستويات معلومة منطلقها الحنجرة مصدر الهتاف بالشّعارات فمستوى الذّراع أو السّاعد مرفوعين في حركة إيقاعيّة أو موقّعة على إيقاع الشّعارات قولا، وهي بذلك تقوّي وتفخّم ما تنجزه الحنجرة. ومن المشاركين من يكتفي أحيانا عند التّعب بإيقاع السّاعد منه موافقا لإيقاع القول من سائر المشاركين؛ فمستوى ما فوق الرّؤوس حيث تشدّ الأذرع الحواملَ البصريّة المرئيّة من لافتات مكتوبة مرفوعة عاليا. وتجتمع كل هذه المستويات وتنصهر في مستوى جامع شامل يضمّ المسموع (صوتا) والمرئيّ الحركيّ (أذرعا وسواعد) والمرئيّ الثّابت (المكتوب أو المقروء).

ويكون التدرّج أفقيّا يكون فيه التّواصل متدرّجا: هو كائن ما بين الأفراد في المسيرة يكون فيه التّواصل صوتيّا محدودا بفضاء المسيرة؛ وهو كائن ما بين المسيرة والبلاد (العربيّة) من خلال الشّعارات المصوغة بالعربيّة واللاّفتات المكتوبة بها؛ وهو كائن ما بين المسيرة (الشّعب التونسيّ) وسائر الشّعوب، حيث تكون الشّعارات المنطوقة و/أو المكتوبة في لغات أخرى (الفرنسيّة، الإنجليزيّة، إلخ) أو تؤدّيها الأشكال الأيقونيّة بعلامات غير لغويّة مفهومة عالميّا، من قبيل الخبزة المرفوعة، أو الأعلام والرّموز بأنواعها أو الدّمى الممثّلة للأشخاص أو البلدان وما إليها.

4-1 المسيرات إطارا طقوسيّا

نثبت في ما يلي كون المسيرات إطارا طقوسيّا باعتماد ما يتوفّر فيها من أركان الطّقس تنظيما وخطابا ومكانا ورمزا، هي طقس جماعيّ في المطلق وهي طقس عبور كذلك.

فالطّقس[16] "أداء نمطيّ تكراريّ ورمزيّ لمعتقد ثقافيّ ما أو قيمة ما" (روبي دافيس-فلويد[17] 2004: 8)، ولا يقتصر الطّقس على المعتقدات الدّينيّة فحسب، ولا يقتصر كذلك على المجتمعات البدائيّة دون غيرها، وإنّما يشمل جميع مظاهر الحياة من حيث القيم والعادات والتّقاليد وجميع الأعمال الاحتفاليّة فرديّة كانت أو جماعيّة، والطّقس سلوك جماعيّ في جميع المجتمعات بأنواعها وفي جميع العصور والمواقع. ومن غايات الطّقوس أن تنشئ نوعا من الانسجام والتّناغم والتّماسك في المجموعة من خلال توحيد معتقداتها ورموزها. ويبدو أنّ الغاية الأساسيّة من الطّقوس تكمن في ترسيخ المعتقدات من خلال الأعمال التّكراريّة المتواترة المنظّمة. "فجميع الثّقافات البشريّة تعتمد الطّقوس وسيلة نفسيّة ومادّيّة في التّعامل مع المجهول ومع ما لا يمكن التّنبّؤ به من الأشياء الطّبيعيّة والاجتماعيّة والكونيّة." (دايفيس-فلويد 2008: 259).

تمثّل المسيرات إطارا طقوسيّا جماعيّا من حيث الأعمال ومن حيث الأقوال المؤدّاة: الأعمال فيها جماعيّة منمّطة مرتّبة منظّمة؛

[16] rite(s), ritual(s)
[17] Davis-Floyd, 2004

والأقوال (الشّعارات) فيها محفوظة، موزونة، مسجّعة، مقفّاة، موقّعة تتناقل بعضَها الأجيال المتعاقبة؛ وهي جارية في إطار رمزيّ ذلك أنّ بعض الأنهج أو المسالك والسّاحات تتّخذ بعدا رمزيّا فيحول المكان العامّ مكانا طقوسيّا رمزيّا، فشارع الحبيب بورقيبة في العاصمة التّونسيّة، مثلا، حال إطارا رمزيّا تكون المسيرة فيه أكثر وقعا وصدى من مسيرة أخرى جارية في مكان آخر، وقد ارتبط ذلك بالحدث الكبير يوم 14 جانفي 2011، وكذا ميدان التّحرير في القاهرة. وفيها إنشاء لقيم جديدة من قبيل الحرّيّة الّتي فقِدت عقودا من الزّمن وفيها ترسيخ لها بحكم تكراريّتها، وفيها تحقيق للتّماسك الاجتماعيّ والإيديولوجيّ بين أفراد الجماعة السّياسيّة الواحدة أو النقابيّة أو الحقوقيّة عامّة وفق ما يكون من دعوة مخصوصة منها لتنظيمها أو المشاركة فيها والاتّفاق على المضامين المشتركة بين المنظّمين والمنتمين إلى التّيّارات المشرفة عليها. والمسيرات طقس عبور جماعيّ من حيث ما يكتنفها في الإطار العامّ من قلق وسخط وخوف ورجاء وأمل في حياة المجموعة عامّة، تمثّل المسيرات صدى له.

يتمثّل طقس العبور[18] في جملة من الطّقوس الّتي بها ينتقل الفرد من حال أو منزلة اجتماعيّة ما إلى حال أو منزلة اجتماعيّة أخرى، وذلك من قبيل التّحوّل من المراهقة إلى البلوغ أو الرّشد (الكهولة)، أو من حال العزوبيّة إلى الزّواج، أو من طور التّتلمذ إلى التّخرّج، أو من حال التّعلّم المهنيّ إلى وضع المهنيّ التّامّ أو من الحياة إلى الموت. وفي جميع ذلك يحدث التّحوّل في صورة الفرد عند الجماعة بحكم منزلته الجديدة فيها، كما يحدث تحوّل في صورته هو عن نفسه بحكم ذلك

[18] rite(s) of passage, transition ritual(s)

التّحوّل. وتمثّل طقوس العبور كذلك تعيينا لأطوار الحياة كما تحدّدها المجموعة وفيها تهيئة للفرد وللمجموعة في آن من حيث مقتضيات تلك التّحوّلات عند كلّ منهما إزاء الآخر سلوكا وانتظاما وما يتبعهما من العلاقات الاجتماعيّة الّتي تنتظم وفقها حياتها ويقوم عليها كيانها. ومن غايات طقوس العبور أن تعطيَ بني البشر شعورا بسيطرتهم على أطوار التّحوّل الطّبيعيّة الّتي لا يمكنهم التّحكّم فيها بحكم طبيعتها البيولوجيّة أو الفيزيائيّة؛ ويمثّل جعلُ هذه الظّواهر خاضعة لطقس من الطّقوس بأنواعها، نوعا من إخضاعها لإرادة بشريّة تملكها المجموعة الّتي تؤدَّى فيها تلك الطّقوس (مالينوفسكي[19] 1954). ويتوفّر بها نوع من السّيطرة على المخاوف المقترنة بالتّحوّل مطلقا من طور إلى آخر في الفترات الانتقاليّة الّتي يكون فيها الفرد العابر في حال هي بين بين، من حيث تسليمه بالقيم والثّورة عليها، بحكم ما قد يعتريه من شكّ في القيم الجماعيّة وما يتملّكه من طاقة لم تسيطر عليها المجموعة بعد (دوغلاس[20] 1966). ومن غايات طقوس العبور، ترسيخ القيم الأساسيّة من خلال الأعمال الطّقوسيّة بما يتجلّى فيها من الجلال في المشاعر وحركات الجسد والهيبة في جميع مظاهرها في أنفس المبتدئين، وذلك من خلال التّعامل الدّقيق المتقن مع الرّموز الممثّلة لتلك القيم والمعتقدات الجماعيّة. ولكنّ ذلك التّرسيخ لا يتعلّق بالمبتدئين فقط وإنّما يهمّ المشاركين في الطّقس سواء أكانوا ممّن يؤدّونه من العارفين بجميع جزئيّاته ويسهرون على حسن سيره أم كانوا من المشاهدين المشاركين بحضورهم. وفي جميع ذلك يكون الاستمرار

[19] Malinowski, 1954
[20] Douglas, 1966

للوجود الجماعيّ واليسر في اندماج الفرد في المجموعة وضمانه في آن (تورنر[21] 1969).

فالمسيرات، على هذا، طقس عبور من حال إلى حال في أعمار الجماعات. هي طقس عبور فرديّ من حيث يشارك فيها المبتدئ أوّل مرّة بإرادته فيدخل الجماعة المنظّمة لها ويدخل التّفاعل الاجتماعيّ من بوّابتها، ويشارك فيها المبتدئ صغيرا، ولدا كان أو بنتا، يصطحبه الأب أو الأمّ ليشارك أوّل مرّة في المسيرة وقد يحمله على كتفيه فيها وقد يرسم على وجهه شيئا وقد يعطيه علَما أو شيئا يرفعه وقد يردّد ما يردّد بفهم أو دون فهم، والمهمّ أنّه يدخل الجماعة من باب المسيرة، ومن النّاس من يقول ذلك صراحة، وقد استوى كهلا أو شيخا، في ما معناه أنّ اصطحاب الابن، صغيرا، إلى المسيرة تنشئة له على ممارسة ما حُرِم منه الأب طفلا أو شابّا. والمسيرات كذلك طقس عبور جماعيّ من حال الاعتمال إلى حال الانفجار، ومن حال الكبت إلى حال الحرّيّة ومن حال الحياد أو الهامشيّة إلى حال الانتماء ومن حال اللاّمبالاة بالأشياء إلى حال المبالاة وحال الفعل في توجيه السّير الجماعيّ في مستوى السّياسة العامّة وما إليها، ومن حال التّسليم والاستسلام للمقدَّر إلى حال الرّفض. فالمسيرات ببساطة طقس عبور فرديّ وجماعيّ في آن، من حال الصّمت إلى حال التّعبير.

[21] Turner, 1969

2 الشّعارات خطابا

نفحص في ما يلي بعض الخصائص الدّلاليّة التّصوّريّة في الشّعارات مكوّنا لغويّا من مكوّنات متظافرة في المسيرات. يكون ذلك بالنّظر في آليّات عرفنيّة لغويّة تشتغل في بناء الشّعارات وتكوّنها اشتغالا آليّا عفويّا لا واعيا. وتكون العناية بآليّات ثلاث هي المزج والاستعارة التّصوّريّة والجسدنة.

2-1 الشّعارات خطابا مزجيّا

نشأت نظريّة المزج[22] من تساؤل في ما به يكون نشوء المفاهيم والأشياء الجديدة في الفكر البشريّ في بعديه التّجريديّ والمادّيّ الفيزيائيّ (الصّور، الأفكار، الأقوال، الأعمال، المصنوعات، إلخ.)[23]. كما تبلورت للإجابة عن مسائل يكون بها حدوث المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى فيكون لها معنى جديد غير متوفّر في المفاهيم المتمازجة كأن تعبّر، مثلا، عن عجز الطّبيب وعدم درايته بتسميته جزّارا أو عن صبر النّاقة ومداومتها في السّفر بتسميتها سفينة الصّحراء وما إلى ذلك. وقد اتّسعت المجالات الّتي اعتمِدت فيها آليّة المزج فكان منها العبارات المتداولة والنّصوص الشّعريّة والنّصوص الإشهاريّة والرّسوم والمصنوعات وما إليها. ولنا في هذا المقال مجال لعرض أسسها النّظريّة بإيجاز فاعتمادها إطارا لتحليل عدد من الشّعارات يمثّل فيها المزج آليّة إنتاج وتحليل.

[22] blending theory, conceptual integration
[23] Turner and Fauconnier, 1995; 2003

والمزج ملكة عرفنيّة تتكوّن من عمليّات ذهنيّة طبيعيّة عفويّة آليّة (آن-قوليّة[24])، يكون بها الدّمج بين المفاهيم أو الأفضية لينشأ مفهوم أو فضاء مزيج حادث جديد. وقوام هذه الملكة شبكة المزج المفهوميّ[25] الّتي تتكوّن من رباعيّ من الأفضية الذّهنيّة وجملة من عمليّات الإسقاط ما بين الأفضية وعمليّات المزج والإسقاط الانتقائيّ[26] والتّركيب والإكمال والبلورة وجميعها محكوم بعدد من المبادئ:

أمّا الأفضية فهي فضاءان دخْلان[27] وفضاء جامع[28] وفضاء مزيج. يمثّل الواحد من الفضاءين الدّخلين مصدرا للإسقاط يمتزجان بمقتضاه في الفضاء المزيج، ويترابط الفضاءان في الفضاء الجامع إطارا خطاطيّا يجمع العناصر المشتركة بينهما.

وأمّا عمليّة الإسقاط في المزج فيتطابق بمقتضاها الفضاءان الدّخلان تطابقا جزئيّا وينعكس قسم من عناصر كلّ منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع هو الفضاء المزيج حيث تتوالف مكوّنات مختلفة من الفضاءين فينشأ معنى أو مفهوم جديد ما من أثر له في الفضاءين الدّخلين.

وأمّا العمليّات المزجيّة فمنها التّركيب[29] والإكمال[30] والبلورة[31]: يحدث التّركيب بإسقاط مضامين كلّ من الفضاءين الدّخلين رأسا في الفضاء المزيج فتنشأ فيه علاقات جديدة لم تكن موجودة في ذينك

[24] on line
[25] network (model) of conceptual integration
[26] selective projection
[27] input space(s)
[28] generic space
[29] composition
[30] completion
[31] elaboration

الفضاءين منفصلين. ويحدث الإكمال بإكساء المعاني أو التّصوّرات النّاشئة أبعادا تُستمَدّ من المعارف العامّة ومن التّجربة الجماعيّة، فهي عمليّة لا واعية تبعا لمصادرها وطبيعتها (فوكونياي وتورنر1998، 144)[32] فتنشأ لذلك معان جديدة لا يحملها منطوق الفضاء المزيج. وتحدث البلورة بتركيز المفهوم المزيج النّاشئ من حيث تصوّره ومداه وتفاصيله وأبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة به.

وأمّا المبادئ المتحكّمة في عمليّة المزج فهي الإدماج[33] وثبات التّعالق[34] وشدّة الاتّصال[35] وقابليّة التّفكيك[36] والتّبرير[37]: يضمن الإدماج التّماسك والصّهر ما بين العناصر المكوّنة للمزيج ليصير وحدة مفهوميّة متكاملة يستوي لها كائنا ذهنيّا مستقلاّ تصوّرا ومعالجة. ويضمن ثبات التّعالق أن يكون لكلّ عنصر في الفضاء المزيج نفس العلاقات الّتي لنظيره في الفضاء الدّخل. ويضمن مبدأ شدّة الاتّصال استمرار الصّلة ما بين الفضاء المزيج وكلّ من الفضاءين الدّخلين تيسيرا للاهتداء رأسا إلى التّناسب بين المضامين في كليهما دون جهد إضافيّ ولا استدلال. وأمّا مبدأ قابليّة التّفكيك، فيوفّر السّبيل إلى ما به يتفكّك المزيج إلى مكوّناته بوجه يسهل له إعادة بناء الفضاءين الدّخلين أحدهما أو كليهما وما بينهما من عمليّات الإسقاط وما به يمكن الاهتداء إلى الفضاء الجامع كذلك وشبكة العلاقات الرّابطة بينها جميعا. وأمّا مبدأ التّبرير فتعليل لوجود كلّ عنصر في الفضاء

[32] Fauconnier and Turner, 1998
[33] integration
[34] Topology
[35] Web
[36] unpacking
[37] Good Reason

المزيج من حيث مورده ومعناه أو غايته. وقوام ذلك شرط الإفادة[38]من حيث تعلّقه بسائر العناصر الواردة في الفضاءين الدّخلين ومن حيث وظيفته في اشتغال الفضاء المزيج واستقامته. وتكتمل عمليّة المزج بتكثيف[39] العلاقات الأساسيّة[40] (فوكونياي وتورنر2000)[41] من قبيل الزّمان والمكان والقياس والقصديّة والتّماثل وتطابق الهويّة وما إلى ذلك من المقولات العابرة للأفضية[42] الذّهنيّة، فتتحوّل هذه العلاقات إلى علاقات داخل فضاء[43] واحد هو الفضاء المزيج فتندمج فيه فيعود ما كان منها متعدّدا متكرّرا إلى الإفراد والأحاديّة. إجمال ذلك في التّمثيل (3) نقلا عن فوكونياي وتورنر (1998، 137) وفوكونياي (2001، 3).

تشتغل ملكة المزج في الشّعارات بين أفضية مختلفة وفي نماذج كثيرة ولكنّنا نكتفي بالنّظر في عدد من النّماذج المحدودة يكون في بعضها المزج بسيطا ومركّبا في بعضها الآخر.

---

[38] relevance
[39] compression
[40] vital relation(s)
[41] Fauconnier and Turner, 2000
[42] extra-spatial
[43] intra-spatial

(3)

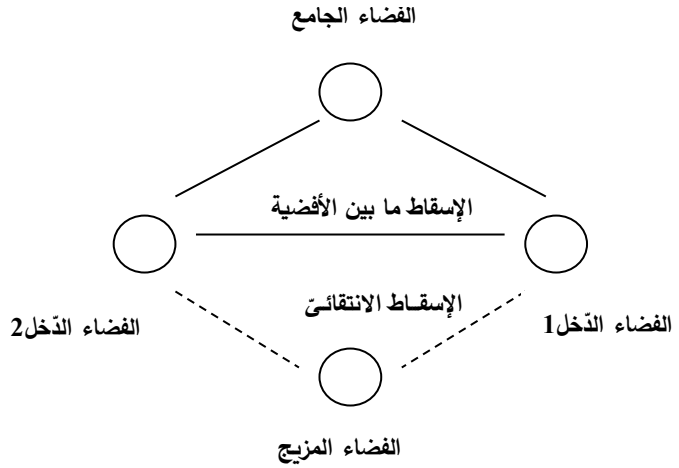

1-1-2 المزج البسيط

من المزيج البسيط ما يكون بين كلمتي "ديمقراطيّة" واسم علم أو اسم عامّ ليكون الحاصل مزيجا معجميّا جديدا تنشأ به كلمة مشحونة دلاليّا بالمسخ، وتحوّلا يحدث به مفهوم جديد هجين مزيج، من قبيل "دينوقراطيّة" المتولّدة من "ديمُو" و"دين" أو "ديلوقراطيّة" المتولّدة من "ديمُو" و"ديلو" (لقب وزير العدل وحقوق الإنسان في الحكومة بعد انتخابات 23 أكتوبر2011)، والمعنى المزيج منهما، تباعا، هو ديمقراطيّة بمسحة شخصيّة يضفيها عليها صاحب الاسم المعنيّ (الصّورة (أ) في (4)) وديمقراطيّة بمسحة دينيّة (الصّورة (ب) في (4)):

(4)

(أ)

(ب)

بيان ذلك في التّمثيل (5):

(5)

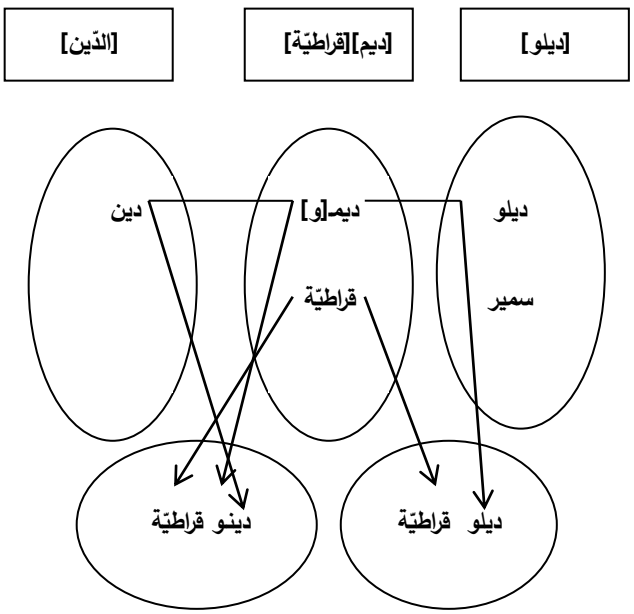

ومن نماذج المزج المعجميّ ما يكون بين "تونس" و"أفغانستان" لتنشأ كلمة "تونستان"، أو في شعار من قبيل [SEPSI ماركة فالصو] حيث جرى المزج بين اسم علم هو [السّبسي] رئيس الحكومة الانتقاليّة الثّانية في صياغته بالحروف اللاّتينيّة [SEBSI] واسم المشروب [بيبسي] في صيغته اللاّتينيّة [PEPSI]، ليحدث مزيج بينهما هو [SEPSI] تنضاف إليه في الشّعار [ماركة فالصو] بمعنى "ماركة مغشوشة أو مقلّدة"، وأبعاد هذا المزيج بيّنة من حيث دلّ على كون هذا الشّخص غير صالح أو هو من النّوع الّذي تجاوز تاريخ صلوحيّته كما هو معهود في البضاعة عامّة والغذائيّة على وجه الخصوص.

ومن المزج المفهوميّ البسيط ما يكون بالدّمج بين أفضية سيميائيّة متعدّدة متزامنة كما يبين في لافتة تحمل رسما أيقونيّا كان الحزب الدّستوريّ والتّجمّع الدّستوريّ الدّيمقراطيّ يتّخذانه أيقونة لهما وفيه حدث المزج بين علم تونس وعلم حركة النّهضة (هلال ونجمة وحمامة) وكذلك نفس الأمر في اسم الحزب، إذ صار "التّجمّع النّهضويّ اللاّديمقراطيّ"، كما يتجلّى في الصّورة (أ) من (6)؛ أو في شعار آخر كتب على لافتة مضمونه سؤال عن الثّمن: [بقدّاش الكيلو نِضال؟ (كم ثمن كيلو النّضال؟)]، (الصّورة (ب) من (6)):

(6)

(أ) (ب)

أمّا الشّعار الوارد في الصّورة (أ) من (6)، فقوامه المزج على مستويين: مزج بين الأشكال الهندسيّة والمضامين الإيقونوغرافيّة من الفضاءين كما يتجلّى من التّمثيل (7)، ولكنّ اللاّفت أنّ صاحب الشّعار قد ذهب بالمزج شوطا آخر فمزج بين اللّون الأحمر لون العلم والنّجمة والهلال في أيقونة التّجمّع (فضاء دخل 1) من جهة، واللّون الأزرق لون الحمامة بجناحيها في أيقونة حركة النّهضة (فضاء دخل 2) من جهة ثانية، وكانت النّتيجة اللّون البنفسجيّ. وهي نتيجة توافق ناتج المزج بين اللّونين في الواقع الفيزيائيّ. وينشأ في الفضاء المزيج عند هذا المستوى مفهوم يستدعيه البنفسجيّ في الذّهن ويؤكّد المزج الأوّليَّ من حيث كان اللّون المفضّل عند الرّئيس المخلوع في ما يقال وفي ما كان يعاين حتّى في ألوان السّتائر في قصر قرطاج وما إليها.

وأمّا شعار [بقدّاش الكيلو نضال] الوارد في الصّورة (ب) من (6)، فذو خلفيّة تاريخيّة مقترنة بفكرة راجت في الأشهر الأولى من حكم التّرويكا

تطالب بالتّعويض للسّجناء والمعذّبين في النّظام السّابق من مختلف الحركات السّياسيّة قياسا على التّعويض للشّهداء والجرحى في الثّورة، وقد كان من أكبر الدّعاة إلى ذلك حركة النّهضة. وكانت الحجّة أنّ الكثير من النّاس سجنوا أو عذّبوا أو طردوا من أعمالهم أو عاشوا في المنافي، وفي جميع ذلك حرموا ممّا ينعم به الشّخص العاديّ فوجب تعويض ما فاتهم تعويضا ماليّا. ودارت بين النّاس فكرة مفادها كون هذا النّضال حادثا لغاية هي السّلطة أو الرّبح، وهو مفهوم مخالف لمفهوم النّضال الحقيقيّ. وذاك ما يتضمّنه الشّعار قائما على المزج بين فضاء التّجارة وفضاء النّضال بما في الواحد منهما من تفاصيل يجتمعان في فضاء جامع هو فضاء التّبادل أو المقايضة بمعناه الأصليّ منذ كانت الحضارة البشريّة في منظومتها التّبادليّة. ومن عادة الزّبائن أن يسألوا عن ثمن البضاعة قبل الشّراء، ومن عادة الباعة أن لا يعيّنوا الثّمن مكتوبا على البضاعة فيضطرّ الزّبون إلى السّؤال عن الثّمن؛ وعند الجواب، يدرس الزّبون قدرته على الشّراء، فيطلب إن كان قادرا، وحدة وزنيّة (كيلو، إلخ) من البضاعة يزنها له البائع ويدفع ثمنها وينصرف. وكذا في فضاء النّضال حيث يبيع المناضل السّنة من السّجن بثمن معلوم يطلبه تعويضا من المجموعة الوطنيّة. فالمعنى النّاشئ هو [أنتم باعة نضال، ناضلتم من أجل الرّبح لا حبّا للوطن]. تمثيل ذلك بتفاصيله في (8).

(7) شبكة المزج المفهوميّ: التّجمّع النهضويّ/ النّهضة **التّجمّعيّة**

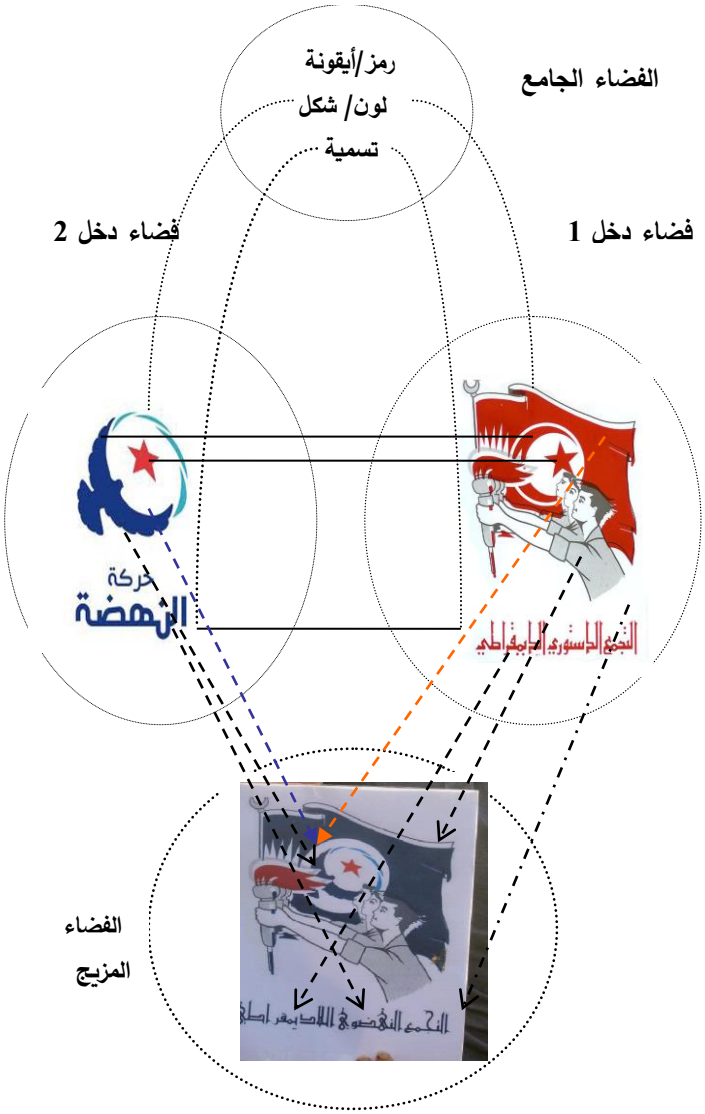

(8) شبكة المزج المفهوميّ: النّضال تجارة

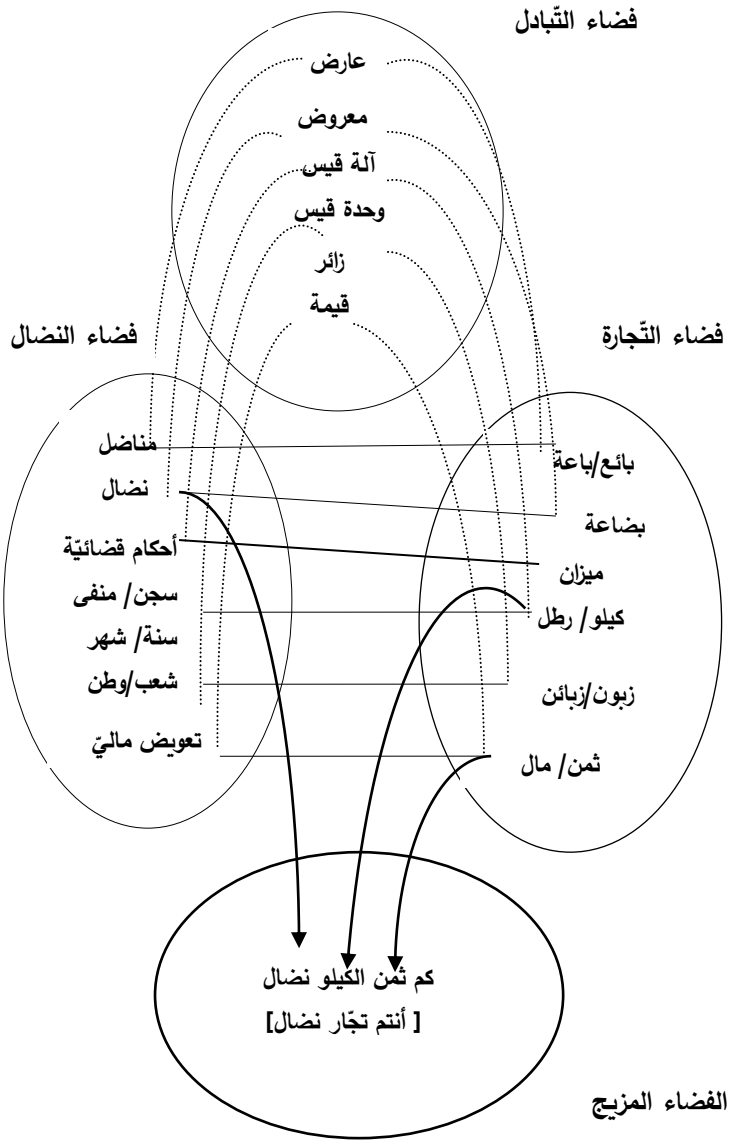

ومن المزج البسيط ما يكون بين فضاء المباراة أو اللّعبة رياضيّة كانت أو غير ذلك من جهة، وفضاء الحُكم من جهة أخرى؛ كما في قولهم في الشّعار المستعار من الإنجليزيّة أو المصوغ بها (GAME OVER) "انتهت اللّعبة" (الصّورة (أ) من (9))؛ أو في قولهم (Game Over is not Try Again) "انتهت اللّعبة، لا يعني حاول مرّة أخرى" (الصّورة (ب) من (9)):

(9)

(أ)

(ب)

(10) شبكة المزج المفهوميّ: الحكم لعبة.

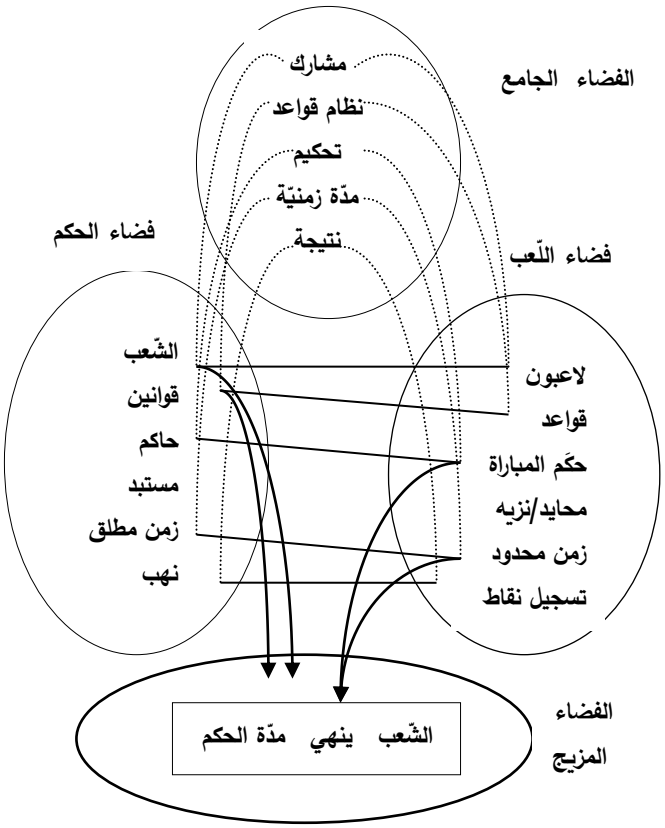

2-1-2 المزج المركّب

من نماذج الشّعارات القائمة على المزج المركّب شعار رفع مكتوبا على لافتة تحملها امرأة تونسيّة يوم 8 مارس 2012 في تظاهرة بساحة المجلس التّأسيسيّ، ونصّه: "أنا علّيسة، أنا عزيزة عثمانة، أنا الكاهنة البربريّة، أنا تونس الحرّيّة، وسأساهم في بناء تونس الدّيمقراطيّة". والمعنى الحاصل منه أنّ المرأة التوّنسيّة اليوم حصيلة

لتاريخ نسائها عامّة والمِلكات منهنّ خاصّة في ما مضى؛ فهي تختزلهنّ وينصهرن فيها منذ علّيسة الملكة مؤسّسة قرطاج (814 ق م) ورمز الدّهاء والحيلة والعقل والوفاء، فالكاهنة البربريّة (تـ 695 م) ملكة الأمازيغ وقائدتهم إبّان الفتح الإسلاميّ ورمز الصّمود والمقاومة، فعزيزة عثمانة الأميرة الحسينيّة (تـ 1669م) رمز السّخاء والعطاء والعطف بما أثِر عنها وبما تركت من معالم خيريّة بعضها ما يزال ماثلا إلى اليوم يحمل اسمها ومنها مستشفى عزيزة عثمانة، فتونس الحديثة المستقلّة (20 مارس 1956) بما يكتنفها من توق إلى الحرّيّة، وجميعها مختزل مختصر في شخص متكلّم مفرد هو امرأة تمثّل صوت المرأة التّونسيّة وتختزل صور النّساء فيها جميعا. ويبنى المعنى المزيج على درجات تمتزج في الواحدة منها أفضية متعدّدة تمازجا ثنائيّا ذا طرف مستقرّ مشترك بينها جميعا هو فضاء المرأة التّونسيّة اليوم. والمحصّل، من كلّ تمازج ثنائيّ معنى ينضاف إليه معنى المزيج الآخر على أساس التّزامن والتّظافر، أنّ المرأة التّونسيّة متأصّلة في إطارها التّاريخيّ بجميع الأبعاد الزّمانيّة متجذّرة في المكان وهي وريثة أمانة تاريخيّة ذات معالم تجسّدها الأعلام من النّساء ممّن اشتهرن في التّاريخ كلاّ بسِمتها وميزتها. فيكون المعنى الحاصل في نوع من التّرجمة كما يرد في الجدول (11) حيث ترد التّفاصيل الّتي يقتضيها التّحليل ويتعذّر تقنيّا إثباتها في التّمثيل (12):

(11)

الفضاء الجامع	**المرأة (سماتها العامّة:الأنثى، الأمّ، إلخ)**			
الفضاء 1	**أنـــا (المرأة التّونسيّة بكامل سماتها)**			
الأفضية 2	**علّيسة**	**عزيزة عثمانة**	**الكاهنة البربرية**	**تونس الحرية**
الأفضية المزيج	**ذكيّة، مخلصة**	**خيّرة طيّبة معطاء**	**داهية مقاومة صامدة**	**حرّة مستقلّة**
الفضاء الحاصل	**أنـا امـــــــرأة: ذكيّة، مخلصة، خيّرة، طيّبة، معطاء، داهية، مقاومة، صامدة، حرّة، مستقلّة**			

(12)

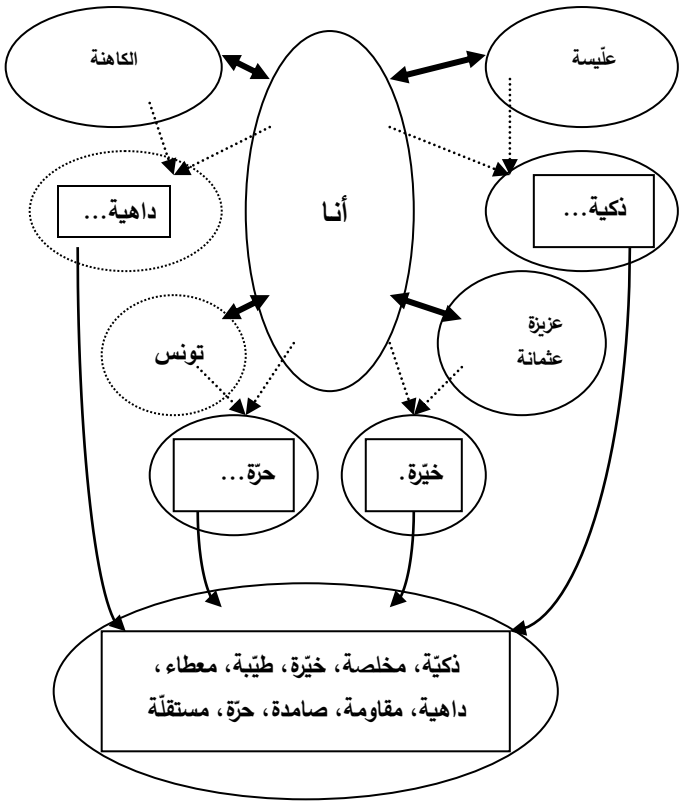

2-2 الشّعارات خطابا استعاريّا تصوّريّا

نظريّة الاستعارة المفهوميّة[44] (لايكوف 1987) بحث في اشتغال الاستعارة آليّةً ذهنيّة جارية في جميع الميادين، يكون بها تمثّل المجال الواحد على أساس مجال آخر كأن نتمثّل الحياة على أساس الرّحلة أو الغضبَ على أساس النّار، إلخ. يتأسّس ذلك التّمثّل على عمليّات الإسقاط مفردا ومتعدّدا، تزامنيّا، محكوما بسلّميّات الإرث، متمثّلا في قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة جارية ما بين المستويات العليا في المقولات، محكومة بمبدإ الثّبات الّذي يحافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة حيث تكون الغلبة للمجال الهدف. فمجمل العمليّة الاستعاريّة في تمثّل مجال على أساس مجال آخر تمثّلا يكمن في قيام تناسبات[45] بين مجالين (مجال مصدر[46] ومجال هدف[47]) عنصرا بعنصر أو مكوّنا بمكوّن، فتكون تلك التّناسبات إبستيميّة لقيامها على إسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلّقة بالمجال الهدف.

الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة: يتّخذ لايكوف[48] (1987، 1990) من تواتر الاستعارة في الخطاب بأنواعه ومن يسر تأويلها سواء أكانت قديمة مألوفة أو جديدة حادثة، ومن سهولة انتشارها على المجالات المتقاربة أو المتباعدة، أساسا يدعم به قوله بتأصّل الإسقاط المفهوميّ ما بين المجالات في الفكر. وتأصّله ذاك قائم

[44] Conceptual Metaphor Theory, (CMT)
[45] Correspondence(s)
[46] Source domain
[47] Target domain
[48] Lakoff, 1987; 1990

على قوالب قارّة من التّناسب الأنطولوجيّ[49] ما بين المجالات، فإذا ما انطبقت تلك القوالب على مجال ما (سواء أكان بنية معرفيّة أو وحدة معجميّة) حدثت الاستعارة، وإذا ما لم تنطبق تلك القوالب لم تحدث الاستعارة.

الإسقاط كائن ما بين المستويات العليا في المقولات: يجري الإسقاط المفهوميّ ما بين المجالات في المستويات العليا من المقولات إذ تتضمّن المعلومات العامّة الشّاملة، ويحقّق هذا التّضمّن درجة عليا من الثّراء في الإسقاط ما بين المجال المصدر والمجال الهدف بما يندرج فيه من معلومات عن المستويات الأساسيّة أو الدّنيا من المقولة.

الإسقاط محكوم بمبدإ الثّبات: يتلخّص مبدأ الثّبات في أنّ الإسقاط ما بين المجالات يحافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة وفيه تكون الغلبة للمجال الهدف. فمن شروط التّناسب ما بين المجالات في الإسقاط، الحفاظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة في المجال المصدر، وهي الأبعاد الكبرى الأساسيّة الّتي ينبني عليها ذلك المجال وتكوّن بنيته الخطاطيّه، فأساس الإسقاط في الاستعارة إسقاط البنية الخطاطيّة في المجال المصدر على البنية الخطاطيّة في المجال الهدف بوجه يضمن التّناسب بين مكوّنات الخطاطتين واحدا بواحد ويحافظ على التّناسبات الثّابتة بينهما. وهذا الإسقاط موجّه بشرط الحفاظ على البنية الخطاطيّة في المجال الهدف من حيث عناصرها وعلاقاتها وذلك دون تغييرها أو تحويرها أو تبديلها. ويرى لايكوف (1992) أنّ مبدأ

[49] Ontological correspondences (fixed patterns of)

الثّبات بقيامه على شرط الحفاظ على خطاطة المجال الهدف، قيد على عمليّات الإسقاط فلا يكون الإسقاط آليّا عشوائيّا.

الإسقاط محكوم بسلّميّات الإرث: تتعدّد العبارات الاستعاريّة في الاستعمال على مرّ الزّمن وتتجدّد في حركة توسّعيّة يتولّد بها بعضها من بعض، وهذا التّعدّد محكوم بسلّميّة الإرث[50] وهي ما ترث بمقتضاه الإسقاطات الدّنيا في المستويات المقوليّة أبنيةَ الإسقاطات العليا فيها (لايكوف 1992). ويجعل لايكوف سلّميّة الإرث ثلاثيّة المستويات تكون الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثّقافات في أعلاها ويرد في أدناها الاستعارات ذات الانتشار المحدود وفي ما بينهما الاستعارات ما بين المحدودة والمنتشرة المتواترة. تنتظم هذه الاستعارات سلّميّة ثلاثيّة المستويات: ترث الاستعارة من المستوى الثّالث بنية الاستعارة من المستوى الثّاني، وهذه ترث بدورها بنية الاستعارة من المستوى الأوّل:

المستوى1: استعارة البنية الحدثيّة

المستوى2: الحياة رحلة

المستوى3: الحبّ رحلة، الدّراسة رحلة، المهنة رحلة....

وفي ما يلي تحليل لنماذج محدودة من الشّعارات ذات المضمون الاستعاريّ التّصوّريّ:

فمن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل البلاد على أساس الكائن الحيّ، كما يتجلّى في شعار متواتر قبيل سقوط النّظام في 14 جانفي

[50] inheritance hierarchy

2011: ['تحيا تونس حرّة حرّة، وبن علي على برّة."]؛ فالبلد كاملا بأهله يُتمثّل على أساس الفرد الواحد، وفي ذلك تكثيف يختزل بمقتضاه التّعدّد والتّنوّع والجماد والأحياء في شيء واحد تطلب له الحياة حرّا. وهو من الاستعارات التّصوّريّة المترسّخة في الذّهن البشريّ منذ قرون بحكم نموّ الوعي بالانتماء الوطنيّ وما يرتبط بذلك من التّصوّرات.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل الحرّيّة على أساس الطّيران ومنه تمثّل الحُرّ على أساس طائر بعينه من خلال الشعار النّسويّ التّالي (ساحة المجلس التأسيسي 8 مارس 2012): ["أنا حمامة حرّة موش غراب مكبّل".] بما يتضمّنه من حرّيّة اجتماعيّة في مستوى الأسرة وتركيبتها في مجتمع ذكوريّ في مستوى أوّل ومن حرّيّة سياسيّة اقتصاديّة وفكريّة في بلد تنظيماته وقوانينه صدى لتلك المنزلة الاجتماعيّة. ولئن كان تمثّل الحرّيّة طيرانا تمثّلا قائما في المطلق متجسّدا في جميع أنواع الطّيور بمختلف أحجامها وأشكالها وألوانها، فإنّ بعضها أولى من بعض في ذلك لخيارات ثقافيّة يحمَّل بمقتضاها نوع من الطّير بعينه دلالةً رمزيّة على الحرّيّة مثل "الحمامة" فتحول حاملا أيقونيّا لها، وهذا معلوم في مختلف المناسبات حيث يطلق بعضهم سربا من الحمام في طقوس معلومة في حركة رمزيّة على الانعتاق والتّحرّر يمثّلها انطلاق الحمام في التّحليق خارج القفص، ولكنّ بعض الطّير (الغراب، مثلا)، وهو الطّائر الحرّ الطّليق مثل الطّيور جميعا، تشحنه الثّقافة بدلالة الأسر والشّؤم بحكم لونه الأسود. وقد شحِن في الشّعار بها في العبارة "غراب مكبّل". ولهذا الأمر خلفيّة ظرفيّة تتمثّل في صراع فكريّ إيديولوجيّ بين موقف السّفور وموقف النّقاب، رأيا وقولا وسلوكا وعملا. فالسّفور بتنويعاته مستدع

لصورة الحمامة، والنّقاب بلونه الأسود يغطّي الجسد كاملا، مستدع لا محالة لصورة الغراب.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل الحرّيّة على أساس شيء مادّيّ هو ملك شخصيّ أو لباس أو شجر كما يتجلّى ذلك في شعار نسويّ (ساحة المجلس التأسيسي، 8 مارس 2012): ["لن تنتزعوا حرّيتي فدماء الشّهداء ترويها"]. فالحرّيّة شجرة تُرعى بالسّقاية لتنمو، ولكنّها مسقيّة بالدّماء وهو سائل به تتحقّق الحياة وقد عوّض الماء وهو سبيل إلى الحياة، فالحرّيّة شجرة لا تُنتزَع بمعنى لا تموت، بحكم السّقاية الّتي تجدها من دماء الشّهداء.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل السّيطرة على أساس هيأة الوقوف، والمشي دوسٌ على الأرض؛ ومنه تمثّل "الحقوق على أساس الأرضيّة"، فالحاكم المسيطر هو هامة الشّخص الواقف وسيطرته دوس القدمين منه على التّراب، والظّلم والسّيطرة دوس كما يبين من شعار رفِع في ساحة المجلس التّأسيسيّ، 8 مارس 2012: ["لن تدوسوا على حقوقي فنساء تونس تفديها."]؛ ويقترن مفهوم الدّوس هنا بوطء مخصوص هو الدّوس المتعمّد بمعنى دَوس من يحتقر الشّيء المدُوس، وفي ذلك تذكير بصورة من يدوس بقايا السيّجارة يطفئها أو بالتّافه من الأشياء يمحوه. وللشّعار خلفيّة ظرفيّة دون شكّ، فهو موجّه إلى موقف يسعى أصحابه إلى التّراجع عمّا تحقّق للمرأة من حقوق منذ الاستقلال.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل النّظام على أساس الشّخص وفيه يكون تمثّل الدّكتاتور على أساس الجلاّد كما يبين من الشّعار

اليساري الدّيمقراطي التّالي: ["يسقط حزب الدّستور، يسقط جلاّد الشعب."]؛ فالجلاّد في المعنى الأصليّ القديم شخص مهمّته الجلد وقطع الرّؤوس يحمل في مفهومه سمات الظّلم والاعتباط يأتمر بأوامر الحاكم ومنها ما يكون مزاجيّا في بعض الأحيان، يتوسّع المفهوم ليتضمّن كامل الأجهزة في نظام الحكم وإن كان يحكم دون اعتماد الجَلد ولا قطع الرّقاب، يستعيض عنها بوسائل أخرى.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل السّياسة أو الحكم على أساس التّجارة والاتّفاقات فيها على أساس الصّفقات، ومنه تمثُّل الثّورة على أساس البضاعة تباع وتشترى لتحقيق ربح مادّيّ كما في الشّعار الّذي رفع في اعتصام باردو 1 من صوت الطّليعة (تونس): ["ثورتنا ثورة أحرار، ما تتباعش بالدّولار."]؛ ولئن كان تمثّل الثّورة على أساس البضاعة مطلقا يستقيم فإنّ امتناع صاحبها عن بيعها يحوّلها إلى بضاعة ثمينة عزيزة قيمتها ليست في ثمنها وإنّما في ذاتها، وكلّ ثمين لا يفرّط فيه صاحبه أبدا فتتوارثه الأجيال كما هو معلوم في المنظومة العائليّة.

ومن الشّعارات ما يكون فيه تمثّل السّياسة أو الحكم على أساس التّعامل في الفايسبوك كما يبين في الشّعار المكتوب في الصّورة (13) (ساحة المجلس التّأسيسيّ، 30 نوفمبر 2011).

يرتبط هذا الشّعار بحكم التّرويكا (الائتلاف الثّلاثيّ) ولذلك ورد ذكر علم من الرّؤساء الثّلاثة، وترجمته هي: [الوزير الأوّل يقرّر، والرّئيس يضغط على "أعجبني" ("جام" الفرنسيّة، "لايك" الإنجليزيّة) ومصطفى بن جعفر "ينشر"]. وفيها تواز بين الأدوار الحكوميّة والأدوار

الفايسبوكيّة وما يكتنفها من أعمال افتراضيّة لا تقتضي أن يجتمع القائمون بها في مكان واحد أو في زمن واحد وفق ما تسمح به منظومة الفايسبوك. وفيها كذلك رسم للسّلّميّة الّتي تحكم توزيع الأدوار في الحكم الثّلاثيّ وتوزيع المهامّ بين الأحزاب الّتي ينتمي إليها كلّ واحد من الثّالوث الحاكم، إلخ؛ وفيها كذلك في المحصّلة تمثّل حكم التّرويكا على أساس اللّعبة الاجتماعيّة الافتراضيّة بما يتضمّن ذلك من مواقف يطول الحديث في شأنها.

(13)

Le premier Ministre décide.
Le président clique « j'aime »
et Mustapha Ben Jaafar « Partage »

3-2 الشّعارات المجسدنة

تكون العناية في هذه الفقرة بأعضاء الجسد حوامل للشّعارات وبأبعاد ذلك الرمزيّة والعرفنيّة، هو ما نطلق عليه الشّعارات

المجسدنة[51]. فالجسد – وقد عاد مفهوما عاملا في المنزع التّجريبيّ بعد أن غاب في المنزع الموضوعيّ- يمثّل أساسا لاعتبار النّظام المفهوميّ (التّصوّريّ)[52] وتمثيل المفاهيم (التّصوّرات)[53] محكومين بطبيعة الجسد عند البشر من حيث تكوينه وتمثّله وتفاعله مع محيطه الاجتماعيّ الثّقافيّ والمادّيّ الفيزيائيّ. وهذا ما تقوم عليه نظريّة الجسدنة[54] أو نظريّة العرفنة المجسدنة[55]، في العرفنة عامّة وفي اللّسانيّات العرفنيّة خاصّة (لايكوف 1987، جونسون 1987)[56]. فالذّهن المعرفِن يعيش في جسد مادّيّ (فاركلاف 1995)[57].

ومن يشهد المسيرات أو يتأمّل صورا منها يلاحظ أنّ الذّراع أو السّاعد يجري حاملا بصريّا للشّعارات من قبيل: [أعتقني] (الصّورة (أ)[58] من (14))، والوجه حاملا لعلم تونس مرسوما مطليّا عليه، مجسّدا لشعار مكتوب مصوغ بالفرنسيّة نصّه: [Mon drapeau, c'est ma peau] وترجمته العربيّة: ["علَمي بشَرتي."]، كما يتجلّى في الصّورة (ب) من (14)، حيث يحول العلم من صورة مثبتة على القماش أو غيره مرفوعة أو محمولة منفصلة عن الجسد إلى سمة أو قسَمة من قسمات الوجه تكوّن هويّة الفرد، والوجه كما هو معلوم مدخل الشّخصيّة وقوامها:

[51] embodied slogan(s)
[52] conceptual system
[53] conceptual representation
[54] embodiment
[55] embodied cognition
[56] Lakoff 1987; Johnson 1987
[57] Fairclough, 1995
[58] Photo de Emir Ben Ayed

(14)

(أ) "أعتقني"

(ب) "علّمي بشرتي"

ويكون الجسد بأكمله ملفوفا في قماش يحمل الشّعار أو راية البلاد (علم تونس) في هيأة لباس يكتنف بعض الأعضاء من قبيل الرّأس أو الصّدر أو المعصم؛ يضمّها ويزينها، أو يكتنف الجسد كاملا يلفّه ويزيّنه، فيستوي الجسد كاملا حاملا أيقونيّا متحرّكا تختفي أبعاده المادّيّة لتحلّ الأبعاد الرّمزيّة مضمون الشّعار محلّها (الصّورة (أ) من (15)). ومن اللّباس ما يكون مشحونا بطبيعة مادّته وخصائصه بالدّلالة على مضمون رمزيّ، إذ يعمد بعض النّاس إلى ارتداء كيس بلاستيكيّ أسود إيحاء بصورة "النّقاب" بجامع السّواد (الصّورة (ب) من (15))، حيث تُغمَر تضاريس الهويّة الفرديّة يكتنفها الغطاء دليلا على محوها بلباس من هذا القبيل:

(15)

(أ)

(ب)

ونهاية المطاف أن يحول الجسد أداة للكتابة، يذوب جسد الفرد في خطّ من الأجساد تتشكّل وفق مخطّط جماعيّ فيكون بأبعاضها الحرفُ يتلوه آخر وبعضُها نقاط لها، ويحول بذلك المعنى المدلول عليه بالحروف اللّغويّة شيئا تجسّده الأجساد من حيث هي حروف يُكتب بها ويُخطّ. فالجسد الّذي تكتَب به كلمة ["حريّة"] (الصّورة (أ) من (16))، واحدا من مجموع الأجساد الّتي بها تكتب مثلا، إنّما هو هي وهو هي من حيث صنعها بمادّته وانغرست فيه، فهو يعيشها وهي مادّته وتنتفي بذلك المسافة الفاصلة بين الدالّ والمدلول ليكونا شيئا واحدا لا فكاك بين أبعاضه. ولعلّ في تنوّع لباس الأجساد المكتوب بها لونا وجنسا وسنّا وما إلى ذلك دليلا على الانصهار في تجسّد المفهوم دون ضياع الخصوصيّات بأنواعها. وكذا تذوب الحدود بين المكان وساكنه وبين المفهوم وعلامته فيتّحد الجسد بالمكان من حيث حلّ في رقعة منه محدودة بفضاء الكتابة، ومن حيث خطّ اسم البلاد فيه ومن حيث كان نصّ العبارة المكتوبة بالأجساد صفة للبلاد في شعار

["تونس حرّة"] (الصّورة (ب) من (16)):

(16)

(أ) (ب)

والمهمّ أن نثبت في جميع ما أوردنا وما لم نورد من النّماذج، أنّ الجسد، في المسيرات بأنواعها، قد حالَ من ناطق هاتف بالشّعارات إلى حامل مادّيّ لها تكسوه فيتغطّى بها، لا فكاك في ذلك بينه وبينها فهي منه وهو منها. وجميع ذلك درجة أمضى في تمثّل المفاهيم بتجذّرها في التّجربة الجسديّة، وفي انغراس المعنى في الجسد كائنا فيزيائيّا مادّيّا وكائنا ذهنيّا اجتماعيّا ثقافيّا.

4-2 الشّعارات أعمالا لغويّة

تكاد لا تخلو مسيرة في شعاراتها من أبنية خطابيّة تتحقّق بها مختلف الأنماط من الأعمال اللّغويّة من قبيل الإعلان والأمر والرّجاء

والتّقرير والاستفهام والنّداء وما إلى ذلك. وجميعها مكتوب أو مهتوف به في لغات متنوّعة، يعنينا منها جميعا التّركيز على ما كان منها مختصرا مختزلا. فمن الأمر: [أعتقني]، [التّجمّع على برّه]، [ربّي المخّ قبل اللّحية]؛ ومن النّهي: [ما تخنقنيش]؛ ومن الاستفهام: [كيف؟ يأتمنوننا على عقولهم ولا يأتمنوننا على وجوههم؟]، [إذا كانت هذه النّهضة، فكيف يكون السّقوط؟]، [بقدّاش الكيلو نِضال؟ (كم ثمن كيلو النّضال؟)] (انظر الصّورة (ب) من (6))؛ ومن التّعجّب: [ملاّ ملاّ مسرحيّة العصابة هيّ هيّ]؛ ومن أسلوب التّقرير النّاجز: [الشعب يريد إسقاط النّظام]،[الشّعب يريد دولة مدنيّة] [لا خوف لا رعب، السّلطة ملك الشّعب]؛ ومن أساليب النّفي ذات القوّة الإنجازيّة ما يبنى على الإثبات مطلقا أو حادثا مؤكّدا بحرف [نعم] أو على النّفي بحرف [لا]، متضمّنا كليهما أو أحدهما: [لا تطرّف، لا رجعيّة، مبادئ الثّورة هي هي]، [نعم للحرّيات، لا للمسّ بحرمة المعتقدات] [الحرّية استحقاق، لا خلافة، لا نفاق]، [لست كافر، الجوع كافر، الفقر كافر]، [لا لاستغلال الدّين في السّياسة]، [لا لدولة الخلافة]، [نعم لنهضة الإعلام، لا لإعلام النّهضة]؛ ومنها ما يكون خليطا جامعا بين أعمال لغويّة متنوّعة: [أعتقني، حاورني، ما تكفّرنيش] (انظر الصّورة (أ) من (14))، [يا مواطن يا ضحيّة .. اخرج شارك في القضية]، إلخ؛ ومن الشّعارات الّتي لقيت رواجا كبيرا في الثّورة التّونسيّة، وقد مثّلت منطلقا لها، وفي سائر الثّورات العربيّة وإن مترجما إلى لهجات محلّيّة في بعضها، شعار: "ديقاج" (**Dégage**)، محطّ العناية في هذه الفقرة.

فالسّمات الجامعة بين مختلف الشّعارات الّتي تحدث بها الأعمال اللّغويّة أنّ العمل اللّغويّ الّذي تنجزه "جماعيّ"، في جميع

المعاني: من حيث كان هتافا جماعيّا، ومن حيث كان القصد الإنجازيّ فيه جماعيّا، سواء أحضر في الخطاب ضمير المتكلّم في شكل مفرد [أنا] أو جمعيّ [نحن] أو خلا من كليهما فعوّضه ضمير مطلق في الجمل التّقريريّة أو نابت عنه كلمة [الشّعب] كما يتواتر في سلسلة الشّعارات الّتي تبدأ بعبارة [الشّعب يريد...]، ومن الشّعارات ما يكون فيه تسمية لجهة أو لمدينة أو لفئة مهنيّة وجميعها ذو دلالة جماعيّة ظهرت أو خفتت. فالعمل اللّغويّ في الشّعارات عمل جماعيّ تلفّظا وقصدا وإنجازا وموقعا في السّلّميّة (الشّعب صاحب السّلطة)، فيكون لجميع ذلك وقعه جماعيّا بالاستتباع.

ومن الشّعارات الّتي مثّلت "الكلمة السّحريّة" بل انتخبت كلمة السّنة 2011 في العالم، شعار [Dégage] ("ارحل")، وقد كانت موجّهة إلى النّظام عامّة وإلى الرّئيس المخلوع خاصّة قبيل سقوط النّظام وصارت جارية في جميع المواضع الّتي يراد فيها طرد المسؤول الإداريّ أو مناهضة توجّه فكريّ أو سياسيّ بعد سقوط النّظام. فما سرّ القوّة فيها؟ وما خصائصها؟

بإيجاز، نرى أنّ فيها جملة من الخصائص جعلت منها كذلك:

أوّلها معناها في لغتها الأصليّة إذ تجري دالّة على الإخلاء مطلقا، إخلاء الفضاء أو غيره ممّا احتمل الدّلالة على المكان أو الفصل والقطع مطلقا، وثانيها جريانها في لغتها الأصليّة في صيغة الأمر يحدث بها عمل لغويّ هو الطّرد أو النّهر، يقولها صاحب المحلّ أو ذو الحقّ فيه، ويقولها ربّ العمل ومالك المكان، وثالثها كونها مرتبطة بشعور ثقافيّ اجتماعيّ قد تعود جذوره إلى مرحلة الاستعمار الفرنسيّ حيث

كان صاحب السّلطة فرنسيّا، فاستعمالها إيذان بالصّرامة وفي استعمالها يكون تقمّص للسّلطة بتقمّص للغة الصّرامة. ولعلّنا نلمس في الحياة اليوميّة بعض المظاهر من ذلك فمن يريد مثلا أن يستتبّ الصّمت والهدوء، صرخ طالبا ذلك بالفرنسيّة (Silence) ذات الوقع الأقوى منه مطلوبا بالعربيّة فصيحة كانت أو عامّيّة (سكوتا، صمتا). هذا في العموم. وأمّا وقعها الأساسيّ فقد كان باقترانها باسم الرّئيس المخلوع: [بن عليّ، ديقاج] (انظر الصّورة (أ) من (17))، وبذلك يكون عمل الطّرد مقترنا بشخص محدّد يعنيه دون غيره إذ يسمّيه ويعيّنه، هو صاحب السّلطة المطلقة والآمر النّاهي المطلق؛ وإذ كان منجزها جمعيّا، وهو الشّعب، ينقلب الاتّجاه في كلّ ما كان قبل الثّورة، وإذا بصاحب السّلطة "جماعيّ" هو الشّعب لا شخص الرّئيس، وإذا بربّ العمل "جماعيّ"، هو الشّعب الّذي يؤجّر الرّئيس، وإذا بالقصد بالاستتباع "جماعيّ"، فتفيد العبارة ما معناه: لقد أنهينا العقد والشّغل وعليك بالرّحيل. وتتلخّص قيمتها الإنجازيّة في انقلاب الأوضاع بانقلاب الجماعة على الفرد، وانقلاب المملوك على المالك، وانقلاب المطيع على المطاع، إلخ، وذاك ما كان فعلا فقد رحل الرّئيس وأخلى المكان.

ومن أعمال الرّجاء ما ينجز بشعار راج كثيرا، في خضمّ الصّراع الفكريّ بين تيّار حداثيّ وآخر سلفيّ، يدعو أوّلهما إلى مجتمع حداثيّ عصريّ تنفصل فيه الدّولة عن الدّين ويدعو ثانيهما إلى استعادة مجتمع الأسلاف لا تنفصل فيه الدّولة عن الدّين، يرفعه الحداثيّون، ونصّه [أعتقني] (انظر الصّورة (ب) من (17)). وقد كان مناهضوهم ينادونهم بجماعة [عنّقني] بأن جرى تحريف لفظ الشّعار دلالة على

(17)

(أ)

(ب)

أنّهم من دعاة حرّية الجنس والعناق وما إلى ذلك. ومن خصائص هذا الشّعار أنّه موجّه إلى مفرد [أنت] والمفعول به فيه مفرد [أنا]. فيكون بناء على ذلك عملا لغويّا قوامه الرّجاء لا الأمر بحكم التّساوي في الموقع أو المنزلة بين الضّميرين، ولذلك تجده في بعض الصّياغات مصحوبا بما يؤكّد ذلك الرّجاء كما في قولهم: [أعتقني، حاورني، ما تكفّرنيش] (انظر الصّورة (أ) من (14)). والمهمّ أنّ كلمة [أعتق] مختارة من سجلّ قديم جدّا مداره العبوديّة والرّقّ، وهي ذات صدى فقهيّ تراثيّ فكم من حكم ينصّ على فكّ الرّقبة وكم من مالك أعتق عبدا حبّا له أو كرامة للّه، وكم من جارية تنسّكت فأعتقها مالكها فأخلصت حياتها لخالقها، وجميع ذلك يصطحبه هذا الشّعار ويحييه.

3

الخاتمة

أثبتنا في هذا البحث الموجز أنّ المسيرات إطار خطابيّ من نوع مخصوص، هو إطار جماعيّ تواصليّ متعدّد الشّفرات (السّنن)، وهي كذلك إطار طقوسيّ والشّعارات فيها خطاب طقوسيّ عامّ من حيث كانت الأعمال فيها والأقوال نمطيّة في جميع مظاهرها، وهي كذلك طقس عبور جماعيّ بما يتوفّر فيها من تحوّلات في طبيعة المواقف الجماعيّة وأنماط الوعي الجماعيّ. كما بيّنّا أنّ الشّعارات خطاب قائم على آليّات الاستعارة التّصوّريّة وآليّات المزج وعلى التّجربة المتجذّرة في الجسد، وإن كان ذا مظاهر أخرى لم تكن العناية بها هنا. وأثبتنا كذلك أنّ الشّعارات أعمال لغويّة جماعيّة ذات قوّة إنجازيّة جماعيّة. ولكنّ أبرز مظهر كانت العناية به في هذا البحث كان مركزيّة الجسد في المسيرات من حيث هو محدِث الأعمال ومنشِئ الأقوال وحامل أيقونيّ وأداة كتابة ورسم، فقد كان للجسد في اعتمال المسيرات إطارا وخطابا دور مركزيّ في تمثّل المفاهيم بتجذّرها في التّجربة الجسديّة، وفي انغراس المعنى في الجسد كائنا فيزيائيّا مادّيّا وكائنا ذهنيّا. إنّه الجسد الجمعيّ يذوب فيه الفرد جسدا وفكرا وفيه ينصهر.

الأزهر الزنّاد

جامعة منوبة، تونس

المراجع

Barsalou, Lawrence. 1992. Frames, concepts and conceptual fields, in A. Lehrer and E. Kittay (eds.). *Frames, Fields and Contrasts*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum. 21–74.

Davis-Floyd, Robbie. [1992] 2004. *Birth as an American Rite of Passage*. 2nd ed. Berkeley: University of California Press.

Davis-Floyd, Robbie. 2008. "Rituals", in William A. Darity Jr. (ed.) *International Encyclopedia of the Social Sciences*, 2nd edition, vol. 7. The Gale Group.

Douglas, Mary. 1966. *Purity and Danger*. London: Routledge and Kegan Paul.

Fairclough, N. 1995. *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. London: Longman.

Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 1998. Conceptual Integration Networks, *Cognitive Science*, Vol. 22 (2): 133-187.

Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 2000. Compression and Global Insight. *Cognitive Linguistics*, Vol. 11 (3-4): 283-304.

Fauconnier, Gilles. 2001. Conceptual Integration, Emergence and Development of Embodied Cognition (EDEC 2001).

Fillmore, C. 1975. An alternative to checklist theories of meaning, *Proceedings of the First Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society*. Amsterdam: North Holland, pp. 123–131.

Fillmore, C. 1977. Scenes-and-frames semantics, in A. Zampolli (ed.), *Linguistic Structures Processing*. Amsterdam: North Holland, pp. 55–82.

Fillmore, C. 1982. Frame semantics. The Linguistic Society of Korea (ed.), *Linguistics in the Morning Calm*, Seoul: Hanshin, pp. 111-137.

Fillmore, C. 1985. Frames and the semantics of understanding, Quaderni di Semantica, 6, 222–254.

Fillmore, C. and B. T. Atkins. 1992. Toward a frame-based lexicon: The semantics of RISK and its neighbors. In A. Lehrer and E.

F. Kittay (eds.), *Frames, Fields and Contrasts*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum, pp. 75-102.

Johnson, M. 1987. *The body in the mind. The bodily basis of meaning, imagination, and reason*. Chicago: University of Chicago Press.

Lakoff, G. 1987. *Women, Fire and Dangerous Things: What Categories Reveal About the Mind*. Chicago: University of Chicago Press.

Lakoff, G. 1990. 'The invariance hypothesis: Is abstract reason based on image schemas?' *Cognitive Linguistics*, 1, 1, 39-74.

Lakoff, G. 1992. The Contemporary Theory of Metaphor, in Ortony A. (ed.): Metaphor and Thought, Cambridge: Cambridge University Press.

Malinowski, Bronislaw. [1925] 1954. *Magic, Science, and Religion. In Magic, Science, and Religion and Other Essays*, 17–87. New York: Doubleday/Anchor.

Turner, Mark and Fauconnier, Gilles. 1995. Conceptual integration and formal expression. *Metaphor and Symbolic Activity* 10, 183-204.

Turner, Mark and Fauconnier, Gilles. 2003. Metaphor, metonymy, and binding. In Barcelona, Antonio (ed.). *Metaphor and Metonymy at the Crossroads*. New York: Mouton de Gruyter.

Turner, Victor W. 1969. *The Ritual Process: Structure and Anti-Structure*. Chicago: Aldine.

Van Dijk, Teun A. 2004. From Text Grammar to Critical Discourse Analysis: A brief academic autobiography, Version 2.0. August 2004. Universitat Pompeu Fabra, Barcelona.